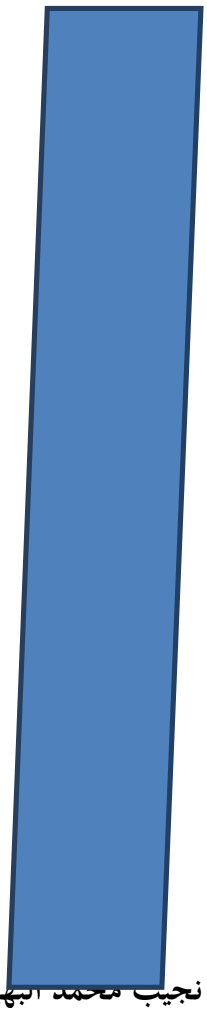

منهج" نجيب محمد البهبيتي" في دراسة تاريخ الأدب.

– مقاربة في الرؤية والمنهج –

الباحثة: حنان الصلحي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية – مراكش. المملكة المغربية.

تأطير موضوع البحث:

يسعى موضوع هذا البحث إلى تبين منهج "**نجيب محمد البهبيتي**" في دراسة تاريخ الأدب، مع تحديد مقاربة في الرؤية والتصور وقوفا عند الأبعاد النظرية والنسقية التي تطرحها دراسته للتاريخ والأدب العربيين.

ويعد الدكتور "نجيب محمد البهبيتي" أحد أعلام فكرنا العربي المعاصر، ومن أضخم وأصح العقول التي جاد بها تاريخنا الحديث، على نحو ما جاد تراثنا العربي القديم بتلك الأدمغة الجبارة التي أعطت لحضارتنا العربية مدلولها الحقيقي والمتميز، وجعلتها حضارة إنسانية هادفة للعلم والنور وحاملة لرسالة العدل والحق والمساواة.

ونجد في فكره نمطا فريدا بين مبدعي عصره، وعندما نحاول تقديم دراستنا حول هذه الشخصية، فإنما نحاول تسليط الضوء على إحدى النجوم الوضاءة التي شغلتها إكراهات الماضي وآفاق المستقبل، فميراثه سؤال مفتوح على الأدب العربي القديم، فيما يمكن أن ينتقل بالإنسان من قيد التقليد إلى فاعلية الاجتهاد، ومن قيد الانغلاق إلى فاعلية الانفتاح.

و"نجيب محمد البهبيتي" تجربة رائدة على مستوى الساحة الثقافية العربية قدم للبحث العلمي الشيء الكثير، وأمده بفكره وعلمه وذكائه ما يفخر له، ويعتز به، وامتازت مسيرته العلمية بتقديم مشروع علمي وهب من أجله العمر كله. وضحى في سبيل إنجازه بسائر ما ينتظر أمثاله أن ينعموا به من حياة الرخاء والاستقرار والهناء والسلطة والمال. فاختار لنفسه المسلك الصعب في سبيل الوصول إلى الحقيقة العلمية، فارتضاها لنفسه طيلة الحياة غير متراجع عنها وتقبلها قائلا: «ونفضت غبار السخف عن أرداني فلم أكن تاجر ألقاب أو عاشق نفوذ... إنما كنت أعيش للحقيقة العلمية، وأترك ما وراء ذلك... وكنت بذلك سعيدا راضيا».[1] وقال أيضا: «والذين يعرفونني... يعرفون أني لم أركب ذلك في سبيل ثراء أو شهرة ألتمسها، أو خصب عز علي في بلادي... ولكني إنما قمت به وفاء لحق علمي تبينته أول الأمر شعاعا دقيقا وضيئا خفاقا... وإني تابعته مثابرا مناضلا مواجها في طريقي الطويل أشد العنت وأعنف الخصومات، وذلك لم يخفض من عزمي على المضي في متابعة ذلك الشعاع حتى استفاض الشعاع الدقيق نورا غامرا فياضا»[2].

فإذا كان هذا الباحث والمؤرخ الأديب؛ اختار لنفسه هذا المسار في سبيل الإفصاح عن الحقيقة العلمية وتصحيح وقائع التاريخ، فما المعالم الكبرى التي ميزت مشروعه الفكري؟و ما الخلفيات التي أطرت منهجه النقدي والأدبي؟ خاصة وأن عمله يبقى خطوة جريئة في الاتجاه الذي طال انتظاره، ومستحق للكشف عن جوانبه، فهو عمل لم يلق الحفاوة العلمية اللائقة به.

تقديم :

إن مساءلة القراءة النقدية التي مارسها البهبيتي على إشكالية تاريخ الأدب العربي حتى القرن الثالث الهجري تكشف لنا عن الأبعاد النسقية التي رسمها لنظريته مستندا إلى رؤية جديدة ومنهج جديد وقراءة جديدة ،وفهم جديد للظاهرة الأدبية والشعرية ، إذ لم يكتف بتتبع ما رسمته الممارسات النقدية السابقة في دراستها لإشكالية تاريخ الأدب ،بل تجاوز التقسيم السياسي لعصور **الأدب واقترح بديلا مخالفا** لهم ، لم يأخذ فيه بنفس الطرق الإجرائية والعملية في البحث وتحري الحقائق ،فكل الحقائق التي

---

[1]- المدخل إلى دراسة التاريخ والأدب العربيين، نجيب محمد البهبيتي، ط1، البيضاء، 1978.المقدمة.

[2]- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري: نجيب محمد البهبيتي ، دار الفكر مكتبة الخانجي، ط4، [1950] المقدمة.

توصل إليها تدل على عمق نظري في التصور ، وبعد نسقي في الطرح ، ليس فقط على مستوى البناء العام لإشكاليته في التاريخ للأدب ، وإنما أيضا على مستوى نوعية القراءة التي قدمها ،إذ لم يكتف بطرح الخطوط العريضة الكبرى للظاهرة حسب العصور، وإنما تجاوز ذلك لما هو أعمق، ففصل في خصائص الشعر العربي بأدق جزئياته دون أن يغفل في السياق نفسه حدود العلاقة الجدلية القائمة بين ما هو شعري وما هو تاريخي.

فما الخلفيات التي أطرت فكره النقدي والأدبي،؟ وكيف السبيل إلى التاريخ للأدب دون الوقوع في بعض المزالق التي وقعت فيها الدراسات والمناهج النقدية الحديثة؟ ألا يستدعي ذلك وجوب التسلح برؤية نقدية تسمح بخلخلة الأفكار والتنظيرات المسبقة ومراجعة ما تم انجازه منهجا وموضوعا،وتمهيدا لأرضية أوسع تساعد على اقتراح رؤية وتصور جديدين؟

أولا : إشكالية تاريخ الأدب عند البهبيتي .

إذا كان الأدب في نظر" البهبيتي" مستقلا بموضوعه ،فإن تاريخ الأدب لا يمكنه أن يستقل عن مجموعة من المعارف والعلوم التي تمده بالأدوات والوسائل الإجرائية،غير أن الدعوة إلى علمنة تاريخ الأدب ليست خالصة لان" تاريخ الأدب" لا يستطيع أن يعتمد على مناهج البحث العلمي الخالص وحدها، وإنما هو مضطر معها إلى الذوق ومرد هذا الفهم لتاريخ الأدب عند ا"لبهبيتي" هو تصوره لموضوع تاريخ الأدب ،حيث إن هذا الأخير عنده يعنى بالدرجة الأولى بدراسة جملة النصوص الأدبية في إطار بعدها النسقي المتكامل لهذا كان مؤرخ الأدب المثالي لديه هو الذي يتحلى بالروح العلمية عندما يبحث في مختلف العوامل التي أثرت في إنتاج النصوص الأدبية،أما عندما يريد الحكم على جمالية النصوص فليزمه الاعتماد على ملكة الذوق، ويمكننا أن نرى هذا التصور التاريخي الأدبي مع "**كوستاف لانسون**" هذا الاخير الذي اقرأن "العمل الأدبي يختلف عن الوثيقة التاريخية بما تثيره صياغته من استجابة عاطفية وجمالية"[1].

لهذا وجدنا "البهبيتي" أيضا توقف إزاء هذه الصياغة معتمدا على ذوقه التاريخي .

وبمقتضيات هذه الرؤية انتقد منهج كل من "**سانت بيف**"و"**تين**"**وبرونتيير**"من زاوية أن محاولتهم ركزت على جانب من جوانب الظاهرة الأدبية في حين اغفلوا جوانب أخرى وكانوا يهدفون إلى إثبات إمكانية دراسة الأدب بطريقة علمية وهذا المنزع لا يمكنه التحقق لأن النقد الأدبي لا يمكن أن يصبح علما ،أو أن يحاكي أي علم من العلوم وإنما عليه أن يستقل بمنهجه ويربط بين طبيعته الخاصة ،وطبيعة الأدب الذي يدرسه لذلك فطبيعة تاريخ الأدب عند "البهبيتي" هي عمل أدبي في حد ذاته.

[1] – المرايا المتجاورة :جابر عصفور،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط1983،1،ص49.

ووعيا منه بخصوصية كل منهج على حدة، وبقصور البحوث والدراسات التي استصحبت هذه المناهج عن تحقيق أهدافها العلمية، فإنه حصر منهجه في البحث في المنهج التاريخي، المعضوض بالتحليل.وتتبع التسلسل الزمني للأحداث الأدبية التاريخية ، وهو اختيار منهجي أملته طبيعة الدراسة في التاريخ والأدب العربيين .

وهنا تكمن إشكالية تاريخ الأدب في عدم وجود قراءة قادرة على إعادة قراءة التاريخ والأدب العربيين وفق رؤية شمولية محكمة ،وذات حقائق علمية مؤكدة ومقاييس تحدد خصوصيات المنهج المدروس.

و لقد تأمل الباحث جل المناهج ، ورصد بعض مظاهر قصورها، والإكراهات العلمية والمنهجية التي تحول دون تحقيق الأهداف منها، ومن ثمة سعى في منهجه للإجابة عن الإشكالات التالية:

*هل بإمكاننا إعادة كتابة تاريخ الأدب العربي وتصحيح مساره وإعطابه؟

*ما الأسس النظرية التي بنى عليها مفهوم تاريخ الأدب ؟ ثم هل هناك ضابط من الضوابط –غير الضوابط الأخرى عند مؤرخي الأدب – يحكم تقسيمه الزمني لعصور الأدب؟

* ثم كيف يحق لنا فهم تاريخ الأدب ؟وبأي قراءة يمكن أن نعمل على قراءة التاريخ والأدب العربيين؟

*ما المنطلقات الفكرية والقناعات الإبستمولوجية التي ينبغي أن يتسلح بها دراسوا الأدب في هذا النوع من الدراسة؟

*ثم هل هناك وعي لدى النقاد العرب بالخلفيات الإبستمولوجية والإيديولوجية لنوع المنهج الذي يمكن تطبيقه على دراسة الأدب والتاريخ له؟

* ما نوع المنهج الذي يتماشى وطبيعة التراث الأدبي المميز لثقافتنا العربية القديمة ؟

*وهل بإمكاننا أن نقدم رؤية جديدة وتصورا جديدا لتاريخ أدبنا العربي؟

كل هذه الإشكالات والقضايا الكبرى ميزت مشروع "البهبيتي" الفكري الرامي إلى تأكيد الهوية العربية، وإعادة كتابة تاريخ الأدب العربي القديم وفق رؤية وتصور جديدين.

ثانيا: مفهوم "تاريخ الأدب" عند البهبيتي.

شغل موضوع تاريخ الأدب فكر العديد من المؤرخين،سواء على مستوى الممارسة العربية أو الممارسة الغربية،ويأتي البهبيتي تجربة رائدة وغنية في هذا المجال تحركها أسئلة محيرة ومثيرة ،لكنها أسئلة مشروعة لتقويم الحصيلة التاريخية للأدب.

ومن هذه الزاوية حضيت قضية تاريخ الأدب في تفكيره النقدي بمعالجة بالغة الأهمية، فنظر إليها بعقله وقلبه وبصيرته،وهو ما يكشف عن وعيه بهذه القضية تنظيرا وممارسة معبرا عن ذلك بقوله:"ومن يوم أخذت انظر لنفسي في تاريخ الأدب،كنت أرى التاريخ السياسي والاجتماعي هو الإطار الذي

يعيش فيه الأدب، فليس يفهم احدهما دون فهم الأخر،فهما روح وجسد لا يفترقان،وانتزاع احدهما من شطره قاض بدمارهما جميعا،ولذلك جعلت تحقيق التاريخ وكدي ولم يكن يومئذ قد حقق منه شئ فحملت الحملين كليهما على ظهري،ومضى خلفي حشد من أدعياء التاريخ يتلقطون الفتات مما عملته"[1].

وأشار في موضع اخر"ولما ظهرتاريخ الشعرالعربي،وجدوا فيه معالجة جديدة انتقلت بالدراسات الأدبية للنص من تلك المحاولات التوهيمية المنفوشة في غير بر إلى مناحي

عقلية تستند إلى أرض صلبة من الدراسة الصوتية للفظ في دلالتها على معناه،وفي مساندتها المضامين الشاملة للجملة والمضمون العام للموضوع،ومن دراسة النص على ضوء التساند بينه وبين التاريخ،لفتح ذلك المنهج الجديد في وجوههم أبوابا كانت دونهم مغلقة[2].

وحسب هذه الرؤية يتضح المغزى الذي رسمه البهبيتي"لتاريخ الأدب" إذ وجد في التاريخ السياسي والاجتماعي السياق الذي يعيش فيه الأدب،ومن هذا المنطلق كانت العلاقة عنده وطيدة بين التاريخي والأدبي،إذ لا يمكن دراسة أحدهما بمعزل عن الأخر،لذا اتسمت دراسته للتاريخ والأدب العربيين بنسق تكاملي بوصفهما كيانا واحدا يشكلان روحا وجسدا، لا يمكن فصل أحدهما من شطره لأن ذلك قاض بدمارهما جميعا.

وتبدو أبعاد تصوراته النظرية واضحة أثناء محاولته مقاربة النصوص الأدبية التي درسها في إطار العلاقة القائمة بين ما هو تاريخي وما هو أدبي ،وهو بهذا يقدم قراءة جديدة للظاهرة الأدبية عامة،والشعرية بصفة خاصة،إذ أرخ للأدب من قلب المادة الشعرية نفسها،ومن خلال حركة إيقاع التاريخ في الحياة.

لهذا فان موضوع" تاريخ الأدب" عند البهبيتي يتحدد في التركيب المعرفي الحاصل بين "التاريخ"و"الأدب"على أساس أنهما بنية موحدة ومركبة من معارف مختلفة لذلك تتخذ عبارة "تاريخ الأدب" عنده معنين هما :دراسة العلاقة القائمة بين النصوص الأدبية خلال السيرورة الزمنية، وربط النصوص بسياقاتها التاريخية.

ووفقا لهذا التصور يتحدد مفهومه "**لتاريخ الأدب**"على أساس دراسة العلاقة القائمة بين النصوص الأدبية خلال التطور الزمني،مع ربط النصوص الأدبية بسياقاتها التاريخية ،وهو ما تكشف عنه دراسته الواعية لتاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الهجري الثالث،حيث حدد طبيعة تصوره في التاريخ للشعر العربي فوقف عند المرحلة الفنية من الشعر وتنسب للعصر الجاهلي ،والمرحلة العاطفية من الشعر

[1] – المعلقة العربية الأولى،أو عند جذور التاريخ:نجيب محمد البهبيتي ،ص:17

[2] – المدخل إلى دراسة التاريخ والأدب العربيين:نجيب محمد البهبيتي،ص.430

وتنسب للعصر الأموي،والمرحلة العقلية من الشعر وتنسب للعصر العباسي ،ومن وجهة نظر أخرى فقد ظل "تارخ الأدب"في تصوره رهينا بتتبع الأدب في سيرورته أجناسا، وأشكالا ،وقضايا،ودلالات،وكل ذلك في ارتباطه بوقائعه ومحيطه،والواضح أن تلك السيرورة تتجسد بفعالية في الأشكال والتقنيات اللغوية،وخاصة في اللغة الأدبية بديناميتها وتفاعلاتها المختلفة.

لقد تكونت عند "البهبيتي"رؤية جديدة"لتاريخ الأدب"حاول من خلالها توضيح الملامح المشكلة لسيرورة الأدب وهنا تتأكد مهمة تاريخ الأدب لديه في كونه ضرورة علمية لإعطاء الأدب معناه الإنساني،وقيمته في إعادة كتابة التاريخ العربي أو معرفة الإنسان لنفسه فخارج"تاريخ الأدب"لا يمكن أن تعطي لأي ظاهرة أدبية مهما بلغت من الروعة سوى الاعتبار النسبي الذي يكتفي بتحقيق المتعة الجمالية المحدودة.

وقد أيقن "البهبيتي" في سياق دراسته" لتاريخ الأدب" بان النشاط الفكري والأدبي لكل من "جرجي زيدان "ومن عاصره كالرافعي وغيره، قد شكل حركة قوية المنطلقات، فيما يخص تناولهم لإشكالية تاريخ الأدب إذ تبين له أنهم "يكتبون الكتب الموضوعية في الأدب العربي وتاريخه،وكانت فترتهم مليئة بالنشاط الكتابي والفكري..وبرزت فيها الموضوعات التي كانت تحرك الخواطر،وتبعت النشاط العقلي في الموهوبين،ولم يكن هذا في الدين وحده،بل امتد إلى جميع وجوه النشاط الذهني من الأدب وغيره فكتب الأستاذ الإمام"محمد عبده"ما كتب وبرز "المنفلوطي العظيم" في الأدب الإنشائي..ثم كان من اثار طلب الجامعة الأهلية القديمة تأليف كتاب في تاريخ الآداب العربية،كتابا جرجي زيدان، والرافعي،وقد أتم الكاتبان ما اختارا التنافس عليه في سنة 1911 وبعدها "[1].

وهذه الإشارة إلى طبيعة النشاط الفكري الذي وسم حركة المؤرخين العرب في دراسة الأدب والتاريخ له،دليل على امتداد وعمق فكره في التأمل في دراسات معاصريه لذا نجده لا يتردد في إبداء موقفه اتجاهها،مقررا"أنها لا تغير من قيمة النص شيئا،وإنما تزيد من البصر بجمال النصوص إن كان جميلا ثم تضع نقائصه تحت المجهر إن كانت له نقائص"[2].

وقد أثرت هذه النظرة على أفق كتابة "تاريخ الأدب"فهو لا يكتفي بتحديد ما في النصوص من خصائص وسمات مميزة لجمالها الفني،وإنما يحاول دائما البحث في مجموع القيم التي يطرحها النص الأدبي وذلك في إطار إشكال عام، هو دراسة التسلسل الزمني والمنطقي لمجموع الوقائع التاريخية والقيم التي تطرحها كل مرحلة أو حقبة تاريخية.

---

[1] – المدخل إلى دراسة التاريخ والأدب العربيين :نجيب محمد البهبيتي ،ص254.

[2] – المدخل إلى دراسة التاريخ والأدب العربيين،نجيب محمد البهبيتي، ص28.

ويؤكد هذا التصور طريقة تعامل "البهبيتي" مع النص الأدبي،ذلك أن اهتمامه ينصرف أيضا إلى معالجة السمات الداخلية اللغوية والسمات الخارجية المرتبطة بالوضع السياسي والاجتماعي،ومن تم وجد بان لتاريخ الأدب مظهر سياسي وآخر اجتماعي،ذلك أن الأديب أو الشاعر ليس إلا عنصرا من الجماعة يؤثر فيها ويتأثر بها ،وأدبهما أو شعرهما لا يمكن أن يكون إلا ظاهرة اجتماعية تطابق الواقع وتتفاعل معه وهو ما تبناه البهبيتي باسم الواقعية[1]، حيث أن الأدب ليس إلا انعكاسا لواقعه.

ويبدو بأن المعالجتين الداخلية اللغوية،والخارجية التفسيرية تتيحان" للبهبيتي" إمكانية طرح صياغة جديدة لتاريخ الأدب عامة،كما أوضحتها دراسته لتاريخ الشعر العربي حتى آخرء القرن الثالث الهجري،وفي هذا الجانب إشارة صريحة لذلك:"وقد درست الشعر العربي باعتباره ظاهرة حية تتحرك على الدهر،فتنمو وتضعف وتتغير وتتشكل متصلة بحياة فردية الشعراء،وأشخاصهم جاعلا همي من هؤلاء من كان من هذه الظاهرة بحيث يضيف جديدا إليها،أو يترك أثرا فيها،ضاربا صفحا عن الأشخاص التابعين لغيرهم السالكين الطريق المعبد الناهجين نهجا سبقوا إليه،لان الكتاب – ويقصد كتابه تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري– ليس كتاب تراجم وإنما مثله الأول متابعة التطور الفكري للشعر بوصفه أداة معبرة عن حياة امة للفردية فيها أثرها..أما ما كان من حياة الشاعر بعيدا عن المشاركة في توضيح هذه الصورة للشعر من حيث هو شعر فقد استبعدته..ولم يكن الشعر عندي في جوهره إلا تعبيرا منطوقا منغوما عن انعكاس الحياة في أروع معانيها على النفس البشرية فما لم يكن من هذا القبيل عندي شعرا ولو وضعه من قبلي موضع شعر،وهذه الطريقة التي اتخذها "البهبيتي" كمنهج في دراسته للشعر العربي والتاريخ له "كانت سبيلا له إلى إظهار الشعر العربي على حقيقته،وإبداء الجوانب الرائعة الجليلة منه،وكانت طريقة إلى عرض طائفة منه هي من أروع ما في أشعار الناس شرقيهم وغربيهم[2]، وهذه الطائفة التي أوردها "البهبيتي" يرى على أنها تنتهي بالناظر إلى تغيير النظرة التي سبق أن كونتها عنده للشعر العربي دراسات ناقصة.

وطبيعي أن هذه النظرة التي توصل لها "البهبيتي" كانت سبيلا لإظهار الشعر العربي على حقيقته،وإبداء الجوانب المميزة فيه،على اعتبار أنها لا تخرج عن تصوره النظري العام لإشكالية "تاريخ الأدب" في كونها تضم إطارا سياسيا وآخر اجتماعيا هما السياق الذي يعيش فيه الأدب، وذلك في إطار علاقة جدلية بين الأدب و التاريخ العربيين،وقد كان هذا بطبيعة الحال هو بؤرة اشتغال" البهبيتي" في معالجته لإشكالية "التاريخ" و"الأدب" العربيين وذلك بالدراسة الداخلية اللغوية والتفسيرية الخارجية من اجل تحديد التطور الفكري للحركة الأدبية عامة والشعرية بصفة خاصة.

---

[1] – تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري:نجيب محمد البهبيتي،ص63.

[2] – تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري،نجيب محمد البهبيتي،ص63.

ومما لاشك فيه أن منظور البهبيتي "**لتاريخ الأدب**"ظل قائما على منهج قراءة النصوص كاشفا في نهاية المطاف عن صياغة جديدة لتاريخ الشعر العربي تراعي شروطه التاريخية وفنياته الأدبية والجمالية.

ونخلص مما سبق أن تاريخ الأدب عنده مرتبط بالتاريخ العام،فالنص الأدبي مرتبط بتاريخه، وهذا يعني أن هناك تساوق وتساند بينهم[1] لدرجة انه لا يمكن استيعاب احدهما بمعزل عن الآخر،وهنا يمكن الوقوف عند الأسئلة الاستشكالية التالية:

إلى أي حد وفق "البهبيتي" في تطبيق منهج تاريخ الأدب؟ وما هي الصيغة التي وقف عندها؟وما هي المقاييس العامة التي استند إليها في دراسة الأدب والتاريخ له؟ وهل كانت رؤيته وتصوره الفكريين كافيين لمعالجة جملة من القضايا التي وقف عندها دارسوا الأدب أم انه تميز باستقلالية وتفرد مشروعه الأدبي منهجا تنظيرا وممارسة؟

ثالثا : منهج "البهبيتي" في دراسة الأدب والتأريخ له.

أ– مقاييس البهبيتي في التأريخ للأدب:

إن السياق المفهومي الذي شكل بؤرة اشتغال" البهبيتي" في معالجته لإشكالية تاريخ الأدب كان حافزا له للعمل على تحقيق النصوص ورصد حركة التطور الفكري للأدب في مراحله المختلفة.

وهذه الرؤية التي دافع عنها"البهبيتي" تلتقي في فروعها النظرية مع توجهات منهجية دافع عنها رواد المنهج التاريخي وعلى رأسهم"**كوستاف لانسون**"الذي يرى أن تاريخ الأدب جزء من تاريخ الحضارة ، فالأدب الفرنسي مظهره للحياة القومية نجد في سجلها الطويل الفني كل تيارات الأفكار والمشاعر التي امتدت إلى الأحداث السياسية والاجتماعية أو تركزت في النظم[2].

فإذا كان" البهبيتي" يرى أن التاريخ السياسي والاجتماعي هو السياق الذي يعيش فيه الأدب بحيث لا يمكن دراسة احدهما بمعزل عن الآخر،فان التصور اللانسوني ينصب في نفس المنحى لدرجة انه لا يمكن مطالعة الأدب الفرنسي إلا في إطار مقاربة ورصد كل تيارات الأفكار والمشاعر التي امتدت إلى الأحداث السياسية والاجتماعية، ومن هذا الجانب نجد أن "البهبيتي" انحاز نحو صياغة ورصد جملة من المقاييس التي شكلت بؤرة اشتغال "المنهج التاريخي"، كما حددها "**كوستاف لانسون**" في مقالته الشهيرة ومنها:

–اعتماده النص أولا وقبل كل شئ.

–لا يعتمد نصا قبل تحقيقه وتوثيقه.

---

[1] – مشروع البهبيتي بين تأكيد الهوية وإعادة كتابة تاريخ الحضارة:عبد العلي الودغيري،مجلة بحوث ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية،العدد1995،6،ص247.

[2] – النقد المنهجي عند العرب:محمد منذور،دار النهضة بمصرللطباعةوالنشر،القاهرة،(د.ط)،(د.ت):ص397

-النص الأصلي يلغي الوساطة.

-لا يفهم النص إلا في سياقه التاريخي.

-التركيب بعد التحليل.

-الصحة هي الأصل إلى أن يثبت العكس.

-الأمانة في التعامل مع النص وهي أساس البحث.

-الحقيقة غاية البحث.

***على مستوى الخاصية الأولى:** جرت عادة "البهبيتي" أن يركز على النص بوصفه وثيقة تاريخية قابلة للدرس والمناقشة والتأويل والتحليل والتفسيير،وهذا يعني لديه أن كل رأي أو حكم يتوصل إليه، ينبغي أن يستند فيه إلى نص،فالنص عنده قبل الرأي وقبل الحكم،ومن ثمة إذا كان هناك رأي سابق لا يدعمه نص ولا يؤيده دليل يبقى مجرد ظن تخمين كما ذهب لذلك "عبد العلي الودغيري" في سياق محاولته البحث عن المقاييس التي ميزت دراسة "البهبيتي" للتاريخ والأدب العربيين[1].

أما الخاصية الثانية: فيؤكد بصددها "البهبيتي" انه لا يصح التعامل مع النص أو الوثيقة قبل التأكد من صحتها شكلا، ومضمونا فكرة وألفاظا ،باستعمال وسائل تحقيق النصوص المعروفة لدى العلماء،ويدخل في ذلك تحقيق نسبة النص إلى صاحبه ،ومعرفة صاحبه وراويه وعصره وزمانه ومكانه.

وعلى مستوى الخاصية الثالثة: يلح "البهبيتي" بالرجوع إلى المصادر الأصلية،وعدم الاكتفاء بالمراجع الثانوية والنقل عن الواسطة إلا عند انعدام الأصل،إذ لا ينبغي- حسب تصوره-أن يتصرف الدارس في الأخبار والنصوص والوثائق،وفق أهوائه فيضيف شروحا وزيادات من عنده،لان ذلك قد يكون عرضة للخطأ في النقل والسهو هذا بالإضافة إلى سوء القراءة والفهم،وهذه القاعدة المنهجية فرضت على" البهبيتي" الانكباب على تعلم اكبر عدد من اللغات الأجنبية القديمة والحديثة الغربية والشرقية حتى يتمكن من مباشرة النصوص والوثائق بنفسه مما يمكنه من ملامسة الحقائق في صورتها الكاملة وغير المزيفة.

أما المقياس الرابع: فيتمثل في أطروحته القائلة بان النص لا يفهم إلا في سياقه التاريخي والاجتماعي كما أشار لذلك بقوله:" ويوم أخدت انظر لنفسي في تاريخ الأدب كنت أرى التاريخ السياسي والاجتماعي هو الإطار الذي يعيش فيه الأدب،فليس يفهم أحدهما دون فهم الآخر فهما جسد وروح...ولذلك جعلت تحقيق التاريخ وكدي، ولم يكن يومئذ قد حقق منه شئ،فحملت الحملين كليهما على ظهري ،ومضى خلفي حشد من أدعياء التاريخ يتلقطون الفتات مما عملته"[2].

---

[1] - مشروع البهبيتي بين تأكيد الهوية وإعادة كتابة تاريخ الحضارة،عبد العلي الودغيري،ص253.

[2]- المعلقة العربية الأولى،أو عند جذور التاريخ:نجيب محمد البهبيتي،ص17.

والحق أن هذا القول ماثل بقوة عند "البهبيتي" إذ يرتبط النص الأدبي – حسب رأيه- ارتباطا وثيقا بتاريخه وان تاريخ الأدب مرتبط بالتاريخ العام ،تاريخ المجتمع وحضارته،فهناك تساوق وتساند بين هذه الأمور، وهذان المفهومان كثيرا الورود في كتابات "البهبيتي" بحيث نجده يستعمل النص التاريخي في تفسير الأدب،كما يستعمل النص الأدبي في تفسيير التاريخ وتحقيقه والاحتجاج له سواء بما يشتمل عليه هذا النص الأدبي من أسماء وأعلام ومواقع وإشارات تاريخية واختصار لأحداث ووقائع لا يسمح الأسلوب الأدبي والشعري على الخصوص بتفصيلها،أو بما تختزنه لغته ومعجمه من ألفاظ دالة ،كثيرا ما تصبح هي الوثيقة الوحيدة التي يتم اعتمادها في كتابة تاريخ المجتمع وحضارته حين تنعدم الوثائق الأخرى[1].

ولهذا الكلام نسقيته، حينما تراجع دراسته التاريخية للأدب حيث يعيد الشعر إلى سياقه العام الذي يمتد في المكان وفي الزمان إلى آلاف القرون الغابرة،ويجعل من "**ملحمة جلجامش**" مثلا أقدم قصيدة عربية بملء الفم والأشداق"[2].

والواقع أن المنجز النقدي "للبهبيتي" قد تحرك في إطار هذه الحلقة،وفي سياق البحث عن ربط منطقي بين مجموعة من السلاسل والحلقات والجسور التي شكلت تاريخ الأمة بصفة عامة،فكانت نتيجة ذلك عنده أن استخلص جملة من النتائج والحقائق التاريخية بفعل تطبيقه لمنهج التساوق والتساند بين الأدب والتاريخ.

أما الخاصية الخامسة: التي يمتاز بها منهج البهبيتي بوصفها مقياسا أساسيا في دراسة التاريخ والأدب العربيين فتتصل بمسالة التركيب إذ" التحليل وحده لا يكفي في معالجة الظاهرة أو النص،وإنما هو الخطوة الأولى فقط ،أما الخطوة الثانية والضرورية فهي التركيب والربط بين الأجزاء التي تم تحليلها ليتم منها استخلاص النتائج الكبرى والتفسير الشمولي"[3].

والملاحظ أن "البهبيتي" كان يربط بين الجزئيات الدقيقة في الخبر التاريخي أو النص الأدبي،ويركب بعضها إلى جانب بعض في مهارة وقدرة ذهنية حادة على التركيز،وتتبع الخيوط الرفيعة الرابطة بين التفاصيل، والمثال على ذلك قصة "النضر بن الحارث"التي تتبع خيوطها وتفاصيلها،وجمع جزئياتها حتى ألف صورة متكاملة ناطقة بالحقائق، و لك كلامه واضحا في رؤيته ومنهجه في البحث:"كنت امضي في تخليص دور النضر من بين الأشواك ومن غيابات التقصير في إيراد التفاصيل التي تسعف بإكمال الصورة

---

[1] – مشروع البهبيتي بين تاكيد الهوية وإعادة كتابة تاريخ الحضارة:عبد العلي الودغيري،ص255.

[2] – المعلقة العربية الأولى،أو عند جذور التاريخ:نجيب محمد البهبيتي ،ص87.

[3] – مشروع البهبيتي بين تاكيد الهوية وإعادة كتابة تاريخ الحضارة:عبد العلي الودغيري،ص256

، وكان منهجي فيه تجميع الخيوط المتفرقة المتناثرة ونسجها النسيج المحكم لنحصل بقدر الإمكان على الصورة المتكاملة للواقع الأدبي والتاريخي لتلك الفترة بوصفهما عنصرين متلازمين لا يفترقان[1].

ووعيا منه بقضية المنهج فقد حصر جهده في جمع الخيوط المتفرقة والمتناثرة والعمل على نسجها نسجا محكما وتحليلها ثم تركيبها بهدف الكشف عن تلك الصورة المتكاملة للواقع الأدبي والتاريخي لكل مرحلة من مراحل الفكر العربي، وهذا يعني أن" البهبيتي" سلك منهجا خاصا به استخلص منه نتائج عدة لم يسبق التوصل إليها كحقيقة علمية ثابتة.

أما السمة السادسة: التي تشبث بها "البهبيتي" في منهجه النقدي"كون الصحة هي الأصل إلى أن يثبت العكس"وهذه السمة عكس بها "البهبيتي" طريقة أولئك الذين تقولوا على التاريخ دون سند ولا علم، فأطلقوا عنانهم للشك وإلقاء التهم والظنون وتجريح الأشخاص والوقائع والطعن في النصوص والأخبار دون تقديم الدليل والحجة والبرهان .

وقد شغلت هذه الفكرة حيزا كبيرا من فكره فدرسها دراسة وافية عميقة ودقيقة وعمل على مقارنتها بمنهج "**الغزالي**" الذي هو الأصل ،وأشار بان التجربة الغربية انتقدت هذا المنهج بقوة ولم يحظى بممارسة تطبيقية في أبحاثهم ،وفي السياق نفسه أكد أن المنهج الديكارتي لم يكن غريبا على الممارسة العربية ،وهذا ويرى أن "**طه حسين**" صاحب الممارسة الفعلية لمنهج الشك الديكارتي لم يكن على علم بشئ من منهج ديكارت نفسه،وانتهى إلى القول انه لا يجوز لأحد أن ينتحل لنفسه مهمة الطعن في تراثنا وتشويه تاريخنا العربي ،وهو مجرد من كل دليل خال من كل حجة أو برهان .

لهذا كشفت دراسة" البهبيتي" عن منهج دقيق في دراسته للتاريخ والأدب العربيين ،إذ لا يكتفي بتعليل الوقائع وتفسيرها والتعقيب عليها حسب ما اشتهى وراقه ،أو ينفي منها ما شاء ثم يخرج بعد ذلك إلى الصورة التي ترضيه ،وتسد كثيرا من حاجاته أو ترضي أمانيه وأحلامه لتنسجم مع العلة التي اختارها والنتائج التي يترسمها ،بل انه يقف في خطى منهجه مؤرخا للوقائع متخذا مسلك الرجوع إلى المصادر،لهذا قال عن منهج العمل الأوروبي بأنه لا يقف فيه المؤرخ عند الوقائع،ولا يقدمها على ما رواها أهلها ، ولكنه يكيفها ويعللها ويعقب عليها ويسوقها حسبما اشتهى."[2]

ويحضر مقياس آخر في منهج "البهبيتي" يجسد سمة الموضوعية والعلمية التي التزم بها في بحثه العلمي ، باستناده إلى النص أو الوثيقة التاريخية كمعياريين مقدسيين ،لا يحق للدارس أن يغير فيهما بالحذف والاختصار أو الزيادة والنقصان ، كما اثبت ذلك من خلال دراسته لمعلقة "**جلجامش**"كوثيقة تاريخية لها قيمتها في التاريخ العربي قائلا لقد:" ثبت لي من دراسة هذه المعلقة أنني بإزاء اخطر وثيقة

---

[1] – المعلقة العربية الأولى،أو عند جذور التاريخ:نجيب محمد البهبيتي،ص 57

[2] – المدخل إلى دراسة التاريخ والأدب العربيين:نجيب محمد البهبيتي،ص5

تاريخية عرفها الإنسان ،وتركها القدماء المتأخرون ،فدلالتها واسعة وانعكاسات التاريخ فيها لا يضارعها فيها وثيقة أخرى"[1].

لهذا يؤكد "البهبيتي" دائما على مسالة البحث عن الحقيقة والتزام الموضوعية بوصفهما مقومين أساسين ينبغي الحرص عليهما في كتابه التاريخ والأدب العربيين .

وهذا المقياس بدوره يبرز جانبا من بحث" البهبيتي" وسعيه وراء الحقيقة العلمية،وتأمله في أحداث تاريخ أدبنا العربي ،محددا لمنهجه إطاره العام في قراءة النصوص المعتمدة على التفريع في الدلالة ،والمقارنة والمقابلة بين الأخبار والنصوص ثم الاستنتاج الصحيح، والتركيز على السمات اللغوية في البحث عن دلالات النصوص وهو ما يبين :

1–قدرته الفائقة على حصر تلك السمات اللغوية للنصوص.

2–قدرته على تحويل الاستنتاجات والانطباعات التي تثيرها كل سمة إلى مفاتيح موضوعية لفهم النص وتذوقه وتحليله.

3–عدم الاكتفاء من دلالات النصوص المعالجة بإيماض واحد،أو فكرة واحدة .

والغالب على فكره هو ميله إلى "الاستقصاء بإطالة النظر في النصوص وفهمها في كل الدلالات التي تتوارد عليها حتى ليكاد يمخضها مخض البخيلة فلا يترك مزيدا لمستزيد"[2].

لهذا كان دائما يلح على مسائل بعينها نظرا لأهميتها البالغة كفكرة تعليق المعلقات وتقديس الشعر..حتى لا يكاد يخلو كتاب من الإشارة إلى ذلك تلميحا أو تصريحا"[3].

كانت هذه أهم الأسس الفكرية والأدوات الإجرائية، التي ميزت طبيعة دراسة تاريخ الأدب عند "البهبيتي "ومميزاته المنهجية،وما هي في الحقيقة إلا دوافع موضوعية وضعها نصب عينيه خلال محاولته اختيار دراسة الأدب والتاريخ له،كأداة إجرائية تجسد وعيه بالخلفيات الإبستمولوجية والإيديولوجية التي أطرت خصوصية منهجه في دراسة تاريخ الأدب.

ب– منهج "البهبيتي" في دراسة تاريخ الأدب.

لقد تتبع " **محمد عمر الطالب** " منهج "البهبيتي" فأيقن بأن ملامح "**المنهج التاريخي**" تبدو حاضرة من حيث الأسس والمقاييس،لاسيما في كتابه " تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث

---

[1]– المعلقة العربية الأولى،أو عند جذور التاريخ:نجيب محمد البهبيتي: ص22، انظر أيضا الشعر العربي في محيطه التاريخي القديم، ص 4.

[2] – دلالات النصوص ومنهج قراءتها عند البهبيتي :سعيد الأيوبي،مجلة بحوث،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، العدد 6، 1995، ص279.

[3] – نفسه،ص278.

الهجري"مؤكدا انه حاول الجمع فيه بين الموضوعات العلمية في الدراسة الأدبية ،والذوق الأدبي الخالص في استخلاص النتائج وإصدار الأحكام النقدية"[1].

وبما أن "البهبيتي" توخى دراسة الأدب في ضوء التاريخ بروح نقدية تعمل على استخلاص النتائج الدقيقة، لا مجرد سرد للأحداث التاريخية والأدبية ،وان يقرر الحقائق ويتعرف على روح العصر والأدب ،ويبين أثر كل منهما في الآخر، لا أن يورد الأخبار الأدبية والنصوص من دون تدقيق أو استنتاج ،وأن يرقب الأثر الذي أحدثته الثقافات الأخرى في هذا الأدب..وأن لا يكتفي بدراسة الموضوعات التي تناولها الأدب عبر تاريخه، وإنما يهتم بدراسة اللغة والأساليب والحياة العقلية إلى جانب المعاني والموضوعات،فانه كان حريصا اشد الحرص على تثبيت هذه الأسس في منهجه بشكل لايدع مجالا للشك،والمتفحص للمقدمات الثلاث التي صدر بها كتابه "تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري"يطالع غاية "البهبيتي" في دراسته لتاريخ الأدب العربي عامة ،وتاريخ الشعر بصفة خاصة،إذ يصرح بأنه :"يعالج تاريخ الأمة العربية ولآدابها باعتبارها وحدة حية متماسكة على الزمان والمكان..وأبرزت خصائص الشعر الجاهلي إبرازا ميز بينه وبين شعر العصور التي ثلثه ودل على قومه،وسعة تجربته وأثر هذه التجربة في استبحار أوزانه وتنوع موضوعاته،واستقرار التقاليد في معالجته عند مناحي محددة التزامها ودار في أفاقها دورانا جمع فيه من العواطف،ومن الانطباع بالكون،ما لم يتجاوزه فيه شعر لغة سوى لغته متكئا على جماليات لم يتهيأ لغير العربية منها إلا بعضا ،قدمت الحكم مدعما بالأدلة مقرونا بالنماذج،والتحليلات،والدرس العميق[2]، وفي هذا الصدد يؤكد "البهبيتي"كما يؤكد أصحاب **"المنهج التاريخي"** على أن الأدب وثيقة تاريخية للأمة ، وأن التوصل لمعرفة هذه الوثيقة لا يتم إلا بجمع المعلومات وتنسيقها ومقارنتها والخروج من كل ذلك بالنتائج العلمية مع الاعتماد على ذوق الباحث وسعة ثقافته يقول" البهبيتي":"وهنا وجدتني مرة أخرى في حاجة إلى أن أتعرف على الماضي بعد أن تبينت الصلة الوثيقة بينه وبين هذا الشعر، بل بعد أن تبينت أن هذا الشعر وثيقة تاريخية كبرى لعهد رائع من عهود التاريخ في جزيرة العرب..ولجأت إلى التاريخ استنطق صامته،وأطرق بابه فوجدت تجاوبا عجيبا بين الشعر والتاريخ وأخذت تلوح على ضوء الدراسة التاريخية المفاهيم الصادقة لذلك الشعر،وتتضح الخصائص الفنية له "[3].

ومن هذه الزاوية اتخذ "البهبيتي" لنفسه تصورا خاصا في قراءة المسار الفني لحياة الأمة التي أنتجت هذا الشعر،فطرح بذلك قراءة جديدة كشف من خلالها عن وجود علاقات مختلفة كالعلاقة بين ازدهار

---

[1] – مناهج الدراسات الأدبية الحديثة:محمد عمر الطالب،دار اليسر للنشر والتوزيع،البيضاء،ط1988،1،ص21.

[2] – تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري،نجيب محمد البهبيتي ،ص 10-12.

[3] – نفسه،ص56

الغناء وازدهار الشعر، ولك قوله في هذا السياق:"وستجد في قراءتك لهذا الكتاب منهجا جديدا ، ونتائج جديدة، وستطلع من دنيا الحياة العربية في جاهليتها وإسلامها على غير ما اعتدت أن تطلع عليه"[1] فتجده بذلك قد ربط في كتابه تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري " بين المدارس ووصل بين التيارات الفكرية وألف بين سياق الأمور في الماضي وما تلاه وبين الأثر السابق والأثر الذي يأتي بعده فكشف عن جملة من القضايا المطروحة في نسق متصل بعضه ببعض..وربط أيضا بين حياة الشعر وحياة الشعراء، بحيث درس الشعرالعربي باعتباره ظاهرة حية تتحرك على الدهر فتنمو أو تضعف وتتغير أو تتشكل متأثرة بفردية الشعراء وأشخاصهم باحثا فيما قدمته كل تجربة شعرية من حيث هي تضيف جديدا إليها أو تترك أثرا فيها ،ويطالعنا بقوله:"إني عشت مع هؤلاء الشعراء عيشهم،وجهدت في أن انتقل بكياني الشعوري كله إلى عصورهم لأخالطهم وأداخلهم"[2].

والثابت أن الوعي بالخصوصية المنهجية ماثلة عند "البهبيتي" بمراعاته للسمات والخصائص المميزة للمنهج التاريخي اللانسوني ،كما نص عليها "كوستاف لانسون" في مقالته الشهيرة التي أقر فيها بضرورة التزام المؤرخ بالبحث في القيم العاطفية والعقلية والفنية في دراسة الأدب والتأريخ له.

ولهذا فان "**المنهج التاريخي**" كان سمة من سمات الرؤية النقدية للبهبيتي ونحن نرى أن هذا المنهج ساعفه في معرفة المعالم الكبرى لمحطات الشعر العربي ،وكذا العوامل التي أثرت فيه كالبيئة والعصر والمصادر الثقافية والوثائق القديمة ودراسته لشخصية الشاعر أو الأديب من حيث كونهما يشاركان في تطور الحركة الإبداعية الشعرية أو الأدبية ،لهذا وجد في المنهج التاريخي حاجة ملحة لمعرفة تطور التفكير واللغة(...)فمعرفة التاريخ السياسي والاجتماعي لازمة لفهم الأدب وتفسيره ،وكثيرا ما يستحيل فهم نص أدبي قبل دراسة تاريخية عريضة[3].

ويتمتع الباحث بحس منهجي تفرد به في كتاباته التأسيسية لكونه ظل مهوسا بإشكال البحث عن منهج للقراءة يخالف المناهج السائدة ،وقد بدأت هذه الكتابة بمشروعه الفكري "تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري(1950م)،وصولا إلى كتابه"الشعر العربي في محيطه التاريخي القديم "(1987م)،وقد مثلت هذه الكتابات نموذجا مثاليا نحو تكريس منهج علمي لمقاربة الظاهرة الأدبية .

وهذه المظاهر إن دلت على شيء فإنما تدل على أن قضية المنهج أصبحت ضرورة ملحة عند العرب المحدثين من العصور الحديثة، وقد كان وراء هذا الوعي المنهجي عوامل منها ما يرتبط بوضعية الدرس الأدبي، ومنها ما يرتبط بالانفتاح على الغرب.

---

[1] – تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري،نجيب محمد البهبيتي ص،56

[2] – نفسه،ص68.

[3] – مناهج الدراسات الأدبية الحديثة: محمد عمر الطالب،ص46.

وفي سياق هذه المحاولات جاءت تجربة البهبيتي لتتجاوز الإطار النظري والمنهجي الصادر العام لهذه التصورات بغية تأسيس تصور جديد ينبني على فهم الأمة العربية، لهذا فإن ما يميز تجربته هو محاولته الإجابة عن سؤال إشكالي هو كيف ننهض بدراسة الأدب؟ أو بمعنى آخر كيف تتم إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي حتى يرقى إلى المستوى الذي يستحقه وأولى الأجوبة التي سيقدمها البهبيتي عن هذا السؤال الإشكالي هي انتقاده للوضع القائم عند أصحاب منهج "تاريخ الأدب"، وسيوجه انتقاداته لجملة من الجهود التي تغيت التأريخ للأدب دون التزامها وتقيدها بروح العلمية، والموضوعية في مقاربة الظاهرة الأدبية. [1]

وبوجه عام، فإن الموسوعة البهبيتية الكبرى لم تتناول إشكالية "تاريخ الأدب" مثلما كان معهودا قبلها من الكتب التي أرخت للأدب العربي ..ولم تقرأه نفس القراءة، ولم تفهمه كما كان يفهم،ولم تفسره نفس التفسير،ولم تقرأه نفس القراءة ، ولم تتجه به إلى نفس الأغراض ولم تحلله بنفس المناهج والأدوات المنهجية الإجرائية ولم تستخلص منه نفس النتائج،وبالجملة إنها لم تكتبه مثلما كانوا يكتبونه عربا أو مستعربيين قدامى أو محدثين ، فهي إذن رؤية جديدة ، ومنهج جديد،وقراءة جديدة وكتابة جديدة[2].

وصفوة القول ،لقد شكل فكر البهبيتي ثورة عارمة على ما كان مألوفا عند المؤرخين ، وتصحيحا دقيقا لمواقف جديدة اعتبرها البهبيتي مواقف شاذة ومضلة هي في أمس الحاجة إلى التصويب والتعديل .

وهكذا فعندما يطلق مصطلح" الثورة" على مشروع البهبيتي، فإنه يتخد دلالة خاصة وبعدا إيديولوجيا يرمي من ورائه إلى إعادة كتابة تاريخ الأدب العربي، وتصحيح أعطابه لإبراز قيمة هذا التاريخ معتمدا طريق البرهان العلمي .

ج– نقدٌ آراء البهبيتي :

ظل مشروع البهبيتي النقدي مفتوحا نحو المساءلة والنقد والمقاربة المنهجية من قبل بعض الاتجاهات التي تغيت البحث في طبيعة تصوراته وأفكاره كما تجسدها مختلف طروحاته سواء في تناوله لإشكالية تاريخ الأدب من جهة، أو إشكالية تاريخ الشعر من جهة ثانية.

لهذا لم يسلم منجزه النقدي "تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري" من بعض الانتقادات، رغم كونه قد سلك فيه مسلك الثقافة القوية والنظر العميق، ولعل أهم الانتقادات التي وجهت له تلك التي طرحها الباحث "**محمد مصطفى هدارة**" بقوله أن البهبيتي: "قسم الشعر في القرن الثالث عدة تقسيمات حاول أن يملأها قسرا[3] ، ولعل أخطر النقدات وأشدها حدة قوله في موقع آخر

---

[1] – انظر كتابه "المعلقات العربية، سيرة وتاريخا، وموقف البهبيتي النقدي من تجربة مصطفى صادق الرافعي فيما يخص مسألة تعليق المعلقات العربية.

[2] – مشروع البهبيتي بين تأكيد الهوية وإعادة كتابة تاريخ الحضارة"، د. عبد العلي الودغيري، ص: 250

[3]– اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: محمد مصطفى هدارة ، دار المعرفة، ط 1، 1401 ،ص: 12.

من كتابه " فالرابطة التي حاول إيجادها (يعني البهبيتي) بين مجموعة من الشعراء رابطة اتجاه في الأسلوب لا أكثر ولا أقل، أما من الناحية الموضوعية فنجد شعراء المدرسة الواحدة يتفاوتون فيها تفاوتا شديدا ويبدو أن فهم أبي الفرج الأصفهاني لمعنى المدرسة الشعرية كان أوضع من فهم البهبيتي لها"[1].

وقد صب عليه جام غضبه فيما يخص تقسيماته لشعر القرن الثاني الذي يتأرجح بين المدرسة الشعبية العامة، والمدرسة الشعبية الخاصة، ومدرسة المحافظين، إذ تبدى له أن "المدارس التي استخرجها البهبيتي، فيها عيوب خطيرة كإسباغه عليها صفات وخصائص عامة، مما يجعل أغلب شعراء هذا القرن (الثاني) مترددين بين هذه المدرسة وتلك، ثم إن الكاتب لم ينجح في التفرقة الدقيقة بين مدرسة الشعبية العامة ومدرسة الشعبية الخاصة، كما أسماها، بل إنه لم يقدم لنا خصائص شعرية مقنعة يمكن أن تكون مذهبا شعريا واضح المعالم، ويصح حينئذ أن تنسب إليه مدرسة بعينها"[2].

وأثار "محمد مصطفى هدارة" مسألة أخرى تخص أصالة الشعر العربي، المترتب عن التأثيرات الأجنبية التي وجهت مساره فحاول في هذا الإطار الرد بالحجج والأدلة على البهبيتي الذي نفى مسألة تأثير الفارسية في الثقافة العربية عموما، حيث أشار إلى أن

"أثر الثقافة الفارسية في المجتمع الإسلامي لم يكن لفظيا أو معنويا فحسب، بل تعدت هذه الناحية إلى نواح أخرى قد تكون أعمق ولكنها أخف وأدق ... كهذه الأسماء الفارسية التي أطلقت على مظاهر الحضارة المختلفة من أنواع الأطعمة والملابس... فنظام العطاء الذي وضعه "**عمر بن الخطاب**" رضي الله عنه ذو أصل فارسي ، بل كلمة الديوان نفسها فارسية لا شك فيها... أما "البهبيتي" فقد سمى أثر الحضارة الفارسية في المجتمع الإسلامي قصة أضخم انتحال في التاريخ، وذهب إلى أن الشعوبيين نجحوا في خديعة العرب أكبر خدعة... ويقرر البهبيتي بعد ذلك أنه لم تكن هناك ثقافة فارسية يأخذها العرب عن الفرس ولم يكن هناك أدب فارسي أو شعر فارسي حتى يؤثر بعد ذلك الأثر في الشعر العربي"[3]. فيقول: "في الناس وهمٌ غالب هو أن العرب قد أخذوا عن الفرس كثيرا مما أقاموا عليه حضارتهم وبنوا عليه تفكيرهم ... وقد غلا هذا الوهم عند بعض العلماء حتى استحال إلى عقيدة، وقد ساعد على هذا الظن أن حركة تاريخ العلم في الإسلام كان قد وكلها القدر إلى قوم ينتمون إلى أصل فارسي، ويتحركون بواعز مما عسى أن تميله، عليهم شعوبية قاهرة" [4]

---

[1]- نفسه، ص: 141.

[2]- نفسه ، ص:150.

[3]- نفسه، ص:93- 94.

[4]- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري: نجيب محمد البهبيتي، ص 217.

وأسير ما توصف به هذه الآراء أنها موضع نظر، وأنها فيما يبدوا تأرجحت بين الموضوعية العلمية والعصبية العربية التي توهمت أن فكرة التأثير الفارسي كانت نتيجة للحركة الشعوبية في حين أن الحركة الشعوبية هي التي كانت نتيجة لهذا التأثير الفارسي.

وكان من مقتضيات الموضوعية العلمية ما عبر عنه البهبيتي بقوله: "إن عماد الفهم للتاريخ التخلص من الاعتبارات الذاتية التي تأخذ بخناق المؤرخ من أثر شخصه وأثر عصره".

ونحن نرى أن نوعية المقاربة كالتي أرادها البهبيتي بين شعراء كل اتجاه أوكل مدرسة شعرية إنما كان يهدف من ورائها لمعرفة مجموع السمات الفنية المشتركة بين هؤلاء الشعراء، لذلك نجده قد بحث في الجوانب الأسلوبية والإبداعية المميزة لتجربة كل شاعر محددا طبيعة المدرسة الشعرية التي ينتمي إليها.

ومن تم فإن نوعية هذه الدراسة كانت سبيلا لدى البهبيتي لإظهار الشعر العربي على حقيقته واستنباط الخصائص المميزة له، إذ درسه بوصفه ظاهرة حية، تتحرك على الدهر، فتنمو وتضعف وتتغير أو تتشكل متصلة بحياة الأمة، متأثرة بفردية الشعراء وأشخاصهم باحثا في شاعرية كل شاعر من حيث كونه يضيف جديدا للظاهرة الشعرية، لذلك لم يجد البهبيتي غضاضة في الابتعاد عن تلك العينة من الشعراء التي لم تساهم في توضيح ملامح الصورة الحقيقية للشعر من حيث هو شعر.

وفي السياق نفسه تأتي محاولة الباحثة "**إلهام عبد الوهاب المفتي**" لتطرح جملة من الاعتبارات والأمور للرد على ما عرضه "محمد مصطفى هدارة" بصدد نقده لآراء وأفكار البهبيتي فتقول في مداخلتها: "ومن غير اقتحام لهذه المعركة ودخول في تفاصيلها يجب الالتفات إلى أمور أدت إلى هذا التقويم الجائر لمحمد البهبيتي المتفرد:

1-لم يكتب البهبيتي بحثه قاصرا إياه على القرن الثاني كما فعل هدارة ومن تم كانت نظرته عميقة الأبعاد إلى هذا القرن كما في ضوء ما توصل إليه من مقدمات بدأها منذ عصور الشعر العربي الأولى.

2-أن منطلق البهبيتي فني يعلي من أهمية المذهب الشعري ، على حين استبدت المعالجة المضمونية بعمل هدارة استبدادا كانت له آثاره السلبية على منهجيتها .

3-أقر هدارة بأن الرابطة التي استطاع البهبيتي إيجادها بين مجموعة من الشعراء هي "رابطة في الأسلوب لا أكثر ولا أقل" وهو يهون بذلك من أهم إنجاز تحقق على يد البهبيتي، إن كلمة أسلوب هنا مرادف للمذهب الفني، أما ما يقرره هدارة من أن شعراء المدرسة الواحدة يتفاوتون من الناحية الموضوعية تفاوتا شديدا، فليس برد لأن المدرسة إنما تكون مدرسة بتوافقها في الأسلوب والمذهب الفني أما الموضوعات فالاختلاف فيها وارد، وعلى ذلك فإن قوله إن فهم أبي الفرج الأصفهاني لمعنى المدرسة الشعرية أوضح من فهم البهبيتي هو سخرية في غير مكانها"[1].

[1]- من إشكاليات المنهج في تاريخ الأدب العربي، الشعر العباسي نموذجا: إلهام عبد الوهاب المفتي، ص :99.

وعليه لم تجد الباحثة في حصيلة البهبيتي المنهجية، إلا طرحا جديدا بالدراسة لأن عمله "جهد مستحق للكشف عن جوانبه ... فهو عمل لم يلق الحفاوة العلمية اللائقة به "..."[1]

وبإزاء ذلك تقرر لدى الباحثة أن البهبيتي في منهجه "اتجه في تأريخه للشعر العربي حتى القرن الثالث الهجري وجهة مخالفة كل المخالفة لصاحبه، وتقصد "**شوقي ضيق**" و"**محمد مصطفى هدارة**" فلم يأخذ بتقسيم الأدب إلى عصوره التاريخية المعهودة كما فعل " ضيف" ولم يحصر دراسته في قرن واحد هو القرن الثاني ، كما فعل "هدارة " وإنما حاول أن يرصد مسار التطور في الشعر العربي منذ أقدم ما عرف له من نصوص حتى القرن الثالث الهجري، وقد أدى به ذلك إلى اعتماد العصور الفنية مدخلا للتقسيم"[2]. هذا وترى الباحثة أن مفهوم العصر الفني لم يكن جاهزا ممهدا من قبل، فكان على المؤلف أن يمهد لنفسه بصياغة مفهوم ذال للمصطلح الذي اعتمده، كما كان لابد له من استنباط مفاصل التقسيم من مادة الشعر نفسه، لأن تقسيمه لا يعتمد الزمن الخارجي القرون ولا الزمن السياسي بل يعتمد أساسا ينشئه هو، التقسيم الفني"[3].

وأكدت الباحثة في خضم ذلك أن لجوء البهبيتي إلى أحداث التاريخ كان ضرورة ملحة له لفك بعض المغاليق والملابسات من أجل استطلاع مسرح الأحداث المرتبطة ببدايات الشعر العربي[4]، ومن جهة أخرى تجد الباحثة في لجوءه للتاريخ نوعا من التفرد والتميز كما هو مألوف في عملي "شوقي ضيف" و"محمد مصطفى هدارة" إذ أنه لم يخصص للتاريخ إلا بابا واحدا من كتاب تجاوزت صفحاته خمس مائة، (أي بنسبة تقع دون 6 %).

وتقف الباحثة عند إشكال أخر لا يقل أهمية عن سابقه، حيث تقرر لديها أن كتابه قد التقى "في الأصول العامة مع توجهات شكلانية أصلية ... حتى إن الاستعانة المحسوبة بالتاريخ —وهو ما فعله البهبيتي– كانت من أهم ما دخل إلى الشكلانية من تعديل خفف به أنصارها من تزمتها الضيق في صورتها الأولى"[5].

وكما هو معروف عند الشكلانية فقد كان همها هو إرساء دعائم الدراسة الأدبية على قاعدة مستقلة، حيث حولت مركز الاهتمام من الشخص إلى النص، فكان السؤال الأول بالنسبة "لهم كيفية دراسة الأدب، وإنما الماهية الفعلية لموضوع بحث الدراسة الأدبية".

---

[1]– نفسه.

[2]– نفسه،ص: 97.

[3]– نفسه ص :98.

[4]– تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، نجيب محمد البهبيتي، المقدمة .

[5]– من إشكاليات المنهج في الأدب العربي " الشعر العباسي نموذجا": إلهام عبد الوهاب المفتي، ص: 98.

فأولى خطوات المنهج الشكلي هو تحديد الموضوع، لأن هذه العملية هي التي ستتحكم في تحديد النظرية.

لقد طرح على الشكلانيين كيفية التعامل مع المؤلف والأفكار والواقع باعتبارها مكونات أساسية في العملية الأدبية ، فكيف أجابت عن هذه الإشكالية؟ ستحاول الشكلانية بناء على ذلك إعادة صياغة هذه العناصر لتخضعها إلى تحول جذري نتيجة للتصورات الجديدة حول مفهوم الأدب بوصفه تقنية، وبوصفه تطورا في الأشكال، إذ لم يعد للمؤلف نفس الدور الذي كان يلعبه في النقد السيري، لأن ما يشكل موضوع الدراسة الأدبية ليس الأعمال الأدبية المفردة وإنما الأدبية، بحيث إن العمل الأدبي يرتبط بالنسق الأدبي بصورة عامة، وليس بشخصية مؤلفه فالشاعر في النظرية الشكلانية لم يعد ينظر إليه كصاحب رؤى أو عبقرية، وإنما نظر إليه كعامل ماهر يرتب أو بالأحرى يعيد ترتيب المادة التي يصادف وجودها في متناوله إن وظيفة المؤلف هي أن يكون على معرفة بالأدب أما ما يعرفه عن الحياة أو ما لا يعرفه.

وهذا التصور يذكرنا بالمنجز النقدي العربي القديم خصوصا عند نقادنا[1] الذين قالوا بأن الشعر صناعة "وأن الشاعر يقوم بوظيفة السبك والصوغ ولا اعتبار بالمادة التي يصوغ فيها من هذا المنطلق اعتبر ابن سلام أن الشعر عند العرب في الجاهلية كان "ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون "وبجانب هذه المكانة فالشعر استطاع أن يؤرخ الأحداث ويحدد ملامح كثيرة لم يعرض لها المؤرخون.

ويطول الحديث إذا ما تتبعنا ما قيل عن الشعر العربي القديم فلما كان الشعر عندهم صناعة استطاعوا أن يؤرخوا به الأحداث، وهذا يعني إدراك العرب القدماء الواعي والمبكر للعلاقة الوثيقة القائمة بين الشعر والتاريخ، بحيث لا يمر بالمؤرخ حدث من الأحداث صغيرا كان أو كبيرا إلا ونجد النصوص الشعرية فيه بمثابة الوثيقة المعتمدة للتدليل على وقوع الحدث أو تأكيده أو تفسيره .

وما دام الشاعر في تصور النظرية الشكلانية ينظر إليه كعامل ماهر يترتب الأحداث أو بالأحرى يعيد ترتيب المادة التي يصادف وجودها في متناولها،فمن هنا ندرك أيضا أن الشكلانية أدركت بوضوح قيمة النص الشعري في عملية التوثيق والإخبار، إذ وجدت فيه سندا قويا وعنصرا مهما من عناصر الكتابة التاريخية.

وفي خضم هذا التوجه الذي شكل مصب النظرية الشكلانية يلتقي المنجز النقدي "للبهبيتي" لأنه وجد في المادة الشعرية العربية القديمة مادة علمية ضخمة لها قيمتها لإثبات أو نفي قضايا التاريخ العربي، ومنه نجد "البهبيتي" قد استقى أحداث التاريخ ومفاصيل التقسيم من مادة الشعر نفسه .

---

[1]– كابن سلام الجمحي، وقدامة بن جعفر، وابن رشيق، وحازم القرطاجني.

لهذا لم ينظر البهبيتي لتجارب الشعراء بوصفها مجرد رؤى أو عبقرية وإنما بوصفهم شعراء يعملون على توظيف المادة التاريخية ويعملون على ترسيخها كما تصادف وجودهم؛ لذلك نجد البهبيتي قد تنبه لهذه الإشكالية من خلال محاولته رصد التطور الفكري للشعر العربي منذ أقدم ما عرف له من نصوص حتى آخر القرن الثالث الهجري.

ومن هذه الزاوية قد تبرز الصلة التي تغيت الباحثة "إلهام عبد الوهاب المفتي" إبرازها بين المذهب الشكلاني وما جاءت به نوعية القراءة التي قدمها "البهبيتي" في معالجته لإشكالية "تاريخ الشعر العربي حتى أخر القرن الثالث" الهجري ذلك أن الشكلانية كما جاء في نصوص الشكلانيين الروس تنادي بدراسة الأعمال الأدبية في حد ذاتها ورصد التطورات التي تطرأ على أشكالها وعناصر بنيتها الداخلية .. ومن تم فهم ينادون بدراسة التطور الأدبي في حد ذاته ويميزون في ذلك بين نوعين أو شكلين من تاريخ الأدب.

الأول : نشأة وتكون الظواهر والأعمال الأدبية.

والثاني: دراسة التحولات الداخلية للأدب[1].

وفي هذا السياق تؤكد الباحثة "**إلهام عبد الوهاب المفتي**" على مطارحتها في كون عمل البهبيتي قد التقى في أبعاده مع توجهات شكلانية أصيلة لأنه اهتم بدراسة نشأة وتطور الأعمال الأدبية، كالبحث في أوليات الشعر الجاهلي والكشف عن قضاياه، وفنياته مثلما عالج ذلك في العديد من القضايا والمواضيع، ولعل أهمها تدليله على مسألة أن الشعر أقدم مما يظن مستعينا في ذلك بدراسة التحولات الداخلية للأدب .

وقد شكلت هذه الأخيرة إلى حد ما نقطة التقاء المنهج الشكلاني مع نوعية القراءة التي عالج بها البهبيتي إشكاليته حول "تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث ه" لكنها من وجهة نظر أخرى لا تتفق ومنهج البهبيتي في تقديم قراءته لتاريخية هذا الشعر حتى آخر القرن الثالث الهجري، وهذا بطبيعة الحال دليل على أن البهبيتي لا ينحو منحى شكلانيا، لان هناك نقطة جوهرية شكلت حجر الزاوية في عمل البهبيتي، وهي أن دراسته لم تخرج عن إطار العلاقة القائمة بين "الشعر والتاريخ" أو "الأدب والتاريخ"، لأن ذلك التاريخ الاجتماعي أو السياسي كان عنده هو الإطار الذي يعيش فيه الأدب، لهذا استعان بالدراسة الداخلية للأدب لمعرفة حقيقة التاريخ والعكس، إذ حسب تصوره ليس يفهم أحدهما دون فهم الآخر، فهما روح جسد مختلطان لا يفترقان وانتزاع أحدهما من شطره قاض بدمارهما جميعا [2]

---

[1]-نظرية المنهج الشكلي،نصوص الشكلانيين الروس: ترجمة إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية،بيروت،1972، ص: 101 – 103.

[2]- المدخل إلى دراسة التاريخ والأدب العربي: نجيب محمد البهبيتي ، ص ، 430.

وهو ما لم يظهر عند الشكلانية لأنها تحاول دراسة التطور الأدبي في حد ذاته وبمنهج مستقل عن ... تطورات التاريخ الاجتماعي والسياسي"[1].

وبناء عليه فطبيعة الفهم الذي قدمه البهبيتي يخرج عن حدود الإطار الذي رسمته الشكلانية لنفسها، بوصفه منهجا جديدا وقراءة جديدة تقوم على أساس رصد حركة التطور الفني الذي سجله الشعر العربي، ثم العمل على تقسيم هذه الحركة التطورية للشعر إلى مراحل فنية تمثل كل مرحلة منها عصرا شعريا أو أدبيا له قضيته الأدبية وله شعراؤه الذين انعكست في إبداعاتهم معظم هذه القضايا، إذ شكلوا القمم التي دارت حركة الشعر حولها كعمر بن أبي ربيعة ، وجميل بن معمر في العصر العاطفي ، وأبو نواس وأبو العتاهية في العصر العقلي .

وحسب ما توصل له البهبيتي فكل مرحلة من مراحل الشعر العربي تمثل خطوة جريئة على طريق التطور الفني الذي تحرك فيه الشعر على امتداد القرون، لهذا نجده يعتبر كل عصر من عصور الشعر العربي، قد عاش قضية متميزة من قضاياه ،وهذه القضايا أو المواضيع لا تمثل وحدة منفصلة بعضها عن بعض، فغزل العصر العاطفي مثلا هو امتداد لغزل العصر الفني وصولا إلى العصر العقلي وما بعده، ويمكن أن تمتد الظاهرة التي وسمت عصرا من العصور إلى العصر الذي يليه، كما يمكن أن تكون قد برزت ملامحها في العصر الذي يسبقه .

وبما أن البهبيتي سلك هذا المسار المنهجي فقد أيقن" **محمد عمر الطالب**" أنه اتبع في كتابه "تاريخ الشعر العربي حتى القرن الثالث الهجري" المنهج التاريخي... في محاولته الجمع بين الموضوعية العلمية في الدراسة الأدبية، واعتماده على الذوق الأدبي في استخلاص النتائج .

ولعلنا لا نجانب الصواب إذا ما قلنا أن البهبيتي يؤكد كما يؤكد أصحاب المنهج التاريخي على أن الأدب وثيقة تاريخية للأمة، وأن التوصل إلى معرفة هذه الوثيقة التاريخية لا يتم إلا عن طريق جمع المعلومات وتنسيقها ومقارنتها والخروج من كل ذلك بالنتائج العلمية المرسخة للحقيقة التاريخية يقول في هذا الصدد"وهنا وجدتني مرة أخرى في حاجة إلى أن أتعرف على الماضي بعد أن تبينت الصلة الوثيقة بينه وبين هذا الشعر، بل بعد أن تبينت أن هذا الشعر وثيقة تاريخية كبرى لعهد رائع من عهود التاريخ في جزيرة العرب ...ولجأت إلى التاريخ أستنطق صامته وأطرق بابه، فوجدت تجاوبا عجيبا بين الشعر والتاريخ وأخذت تلوح على ضوء الدراسة التاريخية المفاهيم الصادقة لذلك الشعر، وتتضح الخصائص الفنية له. وكان علي أن أتكئ في هذا على نفسي[2].

---

[1]- نظرية المنهج الشكلي: ترجمة إبراهيم الخطيب، ص :101-102.

[2]- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري: نجيب محمد البهبيتي، ص 56.

وهذا المجهود العلمي القيم الذي اتكأ فيه البهبيتي على نفسه، كان خطوة جريئة استوعب فيه معطيات المادة الشعرية والتراث العربي القديم عامة، مما أفاده في تقديم طرح جديد وقراءة جديدة ، تحتاج إلى عمق في النظر، وبعد في التصور ،لاستخلاص أبعاد الفكر البهبيتي الذي يسمو إلى أبهى أفق الرقي بالتراث العربي القديم، مما يجعله تجربة مميزة لما حضورها المتميز في الثقافة العربية الحديثة والمعاصرة.

خاتمة:

لعل هذه النوعية من القراءة التي طبع بها المنجز النقدي البهبيتي في تناوله لإشكالية تاريخ الأدب هو ما منحه إمكانية التميز داخل الحقل النقدي العربي الحديث، خاصة أنه اتجه وجهة مخالفة لما نجده في كتابات بعض المؤرخين العرب" كطه حسين"، و"شوقي ضيف"، و"جرجي زيدان"، و"مصطفى صادق الرافعي"... وغيرهم.

ونظرا لما تميز به منهجه من نسقية عميقة الأبعاد بالدلالات على مستوى التحليل والتأويل والتفسير، فإن المادة الأدبية التي تعامل معها تبقى أكثر دقة ومطابقة مع إشكاليته حول فنية العصور، فجاءت دراسته لتاريخ الأدب عامة، والشعر العربي خاصة أكثر نضجا وممارسة وتنظيرا.

وقد دلت الملاحظات التي تم تجميعها، أن" البهبيتي" كان يصدر في أحكامه عن قناعات معرفية دفعته إلى البحث باستمرار عن جهاز نظري يستغرق الأدب العربي بالدراسة والتحليل، مراعيا لطبيعته ومكوناته، مما تولد عنه مشروعا فكريا حمله على اقتراح بديل عن النظريات السائدة في أعطاف كتابه "تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري" بصفة خاصة والذي يتأسس على رسم تصور جديد في دراسة الظواهر الأدبية، وتناوله لإشكالية "تاريخ الأدب".

والحقيقة أن هذا الموضوع الذي حاولنا البحث فيه عن خصوصية منهج "البهبيتي" في التأريخ للشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، هو بحث تحركه أسئلة محيرة ومثيرة، لكنها أسئلة مشروعة لتقويم الصيغة المنهجية التي وقف عندها، والتي تتحدد أساسا في "المنهج التاريخي" كما تبين ذلك في محاولته الجمع بين الموضوعية العلمية في الدراسة الأدبية واعتماده الذوق الأدبي في استخلاص النتائج وتقويمها، وقد قادتنا المتابعة إلى استخلاص جملة من المقاييس التي استند إليها البهبيتي في دراسة الشعر والتأريخ له، إذ بالاستناد إليها أرخ للشعر العربي دون أن يعنى فيه بتراجم الشعراء وسرد حياتهم، وإنما كان يعنى بمتابعة التطور الفكري للشعر بوصفه أداة معبرة عن تاريخ الأمة، وهذا يعني أنه كان يضع بين أيدينا تصورا جديدا لا في دراسة تاريخ الشعر العربي فقط وإنما في تاريخ الأدب أيضا، والواضح أن هذا التصور لم يكن وليد ترف فكري أو تطفل مجاني بل كان يصدر عن إلمام واسع بمسألة التأريخ للأدب العربي، وإلمام أوسع بخلفياته الفكرية الصريحة والمضمرة.

هذا بالإضافة إلى أن معالجته لإشكاليتي التاريخ والأدب العربيين لم تخرج عن إطار التحديد المفهومي العام الذي حدده "لتاريخ الأدب" إذ لم يغفل حدود العلاقة الجدلية القائمة بين "الشعر

والتاريخ" من جهة، و"الأدب والتاريخ" من جهة ثانية، على اعتبار أن التاريخ السياسي والاجتماعي هو الإطار الذي يعيش فيه الأدب، فليس يفهم أحدهما دون فهم الآخر، ومن ثمة كان النص التاريخي عنده يستعمل في تفسير الأدب، كما يستعمل النص الأدبي في تفسير التاريخ وتحقيقه.

ومن هذا المنطلق حمل البهبيتي على عاتقه مهمة تحقيق التاريخ، وإعادة كتابته، فبحث في التراث العربي القديم بعقله وقلبه وبصيرته مستعينا بحركة إيقاع التاريخ في الحياة، ومن مادة الشعر نفسه، فكان بذلك أعظم مؤرخ تأخر به الزمن على الإطلاق.

وكانت آثاره الأدبية لا تقتصر على التأريخ للشعر وحده، وإنما تتسع لتشمل تاريخ اللغة العربية في أصولها ومراحل تطورها، ولا تقف عند هذا الحد، وإنما تتعمق في جزئيات التاريخ العام بوقائعه، وأحداثه وظواهره وقضاياه القديم منها والحديث.

وختاما؛ يحق لنا القول بأن تجربة البهبيتي اتسمت بنوع من التعاطي الأصوب والأسلم مع الإبداع العربي القديم، وهو ما يجعلنا نقف مشدودين لهذه الشخصية التي استطاعت فك رموز الأدب العربي، فكانت لها القدرة على قراءة النصوص قراءة ذاتية قوية.

والحق أن حديثنا عن معالم فكر د."نجيب محمد البهبيتي" تعوزه الإحاطة الشاملة، وكيف يتسنى لنا ذلك ونحن أمام عقلية موسوعية أسه مساهمة فعالة في تدوين القسط الأوفر من تاريخنا المنسي.

وآمل صادقة أن أكون قد وفقت في توضيح ملامح فكر هذه الشخصية منهجا وتصورا، إقرارا باقتناعي بملامستها الصواب والحق، وكشفها عن كثير من الخبايا والأسرار التي تكتنف تاريخ أدبنا العربي، خاصة وأن دراستها مطلب ليس من السهولة بالقدر الذي قد يتصوره لأول وهلة من يريد البحث فيه، أو يروم تحديد مجالاته واتجاهاته.

والله الموفق للصواب

لائحة المصادر والمراجع

أ–المصادر :

–تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري،نجيب محمد البهبيتي،دار الفكر،مكتبة الخانجي،ط4،[1950].

–المدخل إلى دراسة التاريخ والأدب العربيين:نجيب محمد البهبيتي،ط1،البيضاء،1978.

–المعلقات سيرة وتاريخا:نجيب محمد البهبيتي ،دار الثقافة ،1980.

–المعلقة العربية الأولى أو عند جذور التاريخ،نجيب محمد البهبيتي،القسم الأول،ط1981،1.

ب–المراجع:

–اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري:محمد مصطفى هدارة ،دار المعرفة ،ط1401،1.

–المرايا المتجاورة:دراسة في نقد طه حسين،جابر عصفور،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط1983،1.

-مناهج الدراسات الأدبية الحديثة:محمد عمر الطالب،دار اليسر للنشر والتوزيع،البيضاء،ط1988،1.
-نظرية المنهج الشكلي:ترجمة إبراهيم الخطيب،مؤسسة الأبحاث العربية،بيروت،ط1982،1.
-النقد المنهجي عند العرب:محمد منذور،دار النهضة بمصر للطباعة والنشر،القاهرة،(د.ط)،(د.ت).

ج-المجلات والدوريات:

-"مشروع البهبيتي بين تأكيد الهوية وإعادة كتابة تاريخ الحضارة"،عبد العلي الودغيري،مجلة بحوث،كلية الآداب والعلوم الانسانية،المحمدية،العدد1995،6.
-"دلالات النصوص ومنهج قراءتها عند البهبيتي"سعيد الأيوبي،مجلة بحوث،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،المحمدية،العدد1995،6.
-من إشكالات المنهج في تاريخ الأدب العربي:الشعر العباسي نموذجا،إلهام عبد الوهاب المفتي،المجلة العربية للعلوم الإنسانية،الكويت،العدد18-21

.....